

حياة أعظم الرسل

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

محمد يهاجر من مكة

فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ رِسَالَةِ
مُحَمَّدٍ أَتَى مِنَ الْمَدِينَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ
الزَّائِرِينَ لِمِيزَارَةِ الْكَعْبَةِ ، وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ
فِيهَا .

عَلِمَ الرَّسُولُ بِالْمَكَانِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ
الزَّائِرُونَ بِمَكَّةَ ، فَذَهَبَ لِمِيزَارَتِهِمْ لَيْلاً ،
وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَهُ رَسُولاً ،
لِهَدَايَةِ الْعَالَمِ ، وَدَعَاَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ
فَاسْلَمُوا . وَآمَنُوا بِالْمَبَادِيِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الَّتِي ذَكَرَهَا لَهُمُ الرَّسُولُ . وَهُؤُلَاءِ هُمْ
أَوَّلُ مَنْ غَرَسُوا مَبَادِيَّ الْإِسْلَامِ فِي
الْمَدِينَةِ ، الَّتِي صَارَتْ فِيمَا بَعْدُ مَرْكَزًا
وَحِصْنًا لِلْإِسْلَامِ . وَقَبْلَ مُضِيِّ سَنَةِ
اعْتَنَقَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ
الْإِسْلَامَ . وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ عَشْرَةَ مِنْ
رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ حَضَرَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ
الْمَدِينَةِ لِمَزِيَارَةِ مَكَّةَ ، مِنْ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ ، فَقَابَلَهُمْ مُحَمَّدٌ سِرًّا ، وَاعْتَنَقُوا
الْإِسْلَامَ ، وَدَعَوْا مُحَمَّدًا أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُمْ
إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَآمَنُوا بِالْمَبَادِيَّ الْإِسْلَامِيَّةِ

الَّتِي دَعَاهُمْ لِلْعَمَلِ بِهَا ، وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ
عَمُّ الرَّسُولِ حَاضِرًا فِي ذَلِكَ الْاجْتِمَاعِ ،
وَاعْتَقَدَ أَنَّ ابْنَ أَخِيهِ سَيَحْتَاجُ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى مَنْ يُدَافِعُ عَنْهُ وَيَحْمِيهِ ،
بَعْدَ أَنْ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ . فَقَالَ الْعَبَّاسُ
لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ : إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ
مُحَمَّدًا كَرِيمُ الْأَصْلِ ، وَلَهُ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ
فِي الْقُلُوبِ . وَقَدْ حَفِظْتُهُ أُسْرَتُهُ
وَأَصْحَابُهُ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشِ الَّذِينَ أَرَادُوا
أَنْ يَقْتُلُوهُ . وَهُوَ لَا يَثْقُ إِلَّا بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ .
فَإِذَا كُنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّكُمْ تَسْتَطِيعُونَ

الْمُحَافَظَةَ عَلَيْهِ وَالِدِّفَاعَ عَنْهُ ، أَمْكَنَهُ أَنْ
يُجِيبَ دَعْوَتَكُمْ ، وَيَذْهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ .
وَلَكِنْ إِذَا كُنْتُمْ سَتَرُ كُونُهُ بَعْدَ ذَهَابِهِ إِلَى
الْمَدِينَةِ فَالْأَفْضَلُ أَنْ تَتْرُكُوهُ هُنَا مَعَ أَهْلِهِ
لِيُدَافِعُوا عَنْهُ .

فَقَرَّرَ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ
أَنَّهُمْ سَيُدَافِعُونَ عَنِ الرَّسُولِ بِقُلُوبِهِمْ
وَأَرْوَاحِهِمْ ، وَسَيُضْحُّونَ بِحَيَاتِهِمْ فِي
سَبِيلِهِ .

وَقَدْ عَرَفَ الْكُفَّارُ بَعْدَ قَلِيلٍ كُلَّ
مَا حَدَثَ فِي ذَلِكَ الْاجْتِمَاعِ ، مَعَ أَنَّهُ

كَانَ سِرِّيًّا . وَانْزَعُجُوا كُلَّ الْإِنْزِعَاجِ ؛
لِانْتِشَارِ الْإِسْلَامِ بِسُرْعَةٍ فِي الْمَدِينَةِ .
وَلِهَذَا صَمَّمُوا عَلَى مُضَاعَفَةِ تَعْذِيبِ
الْمُسْلِمِينَ . فَأَمَرَهُمُ الرَّسُولُ بِالْهَجْرَةِ
إِلَى الْمَدِينَةِ . فَاطَاعُوا نَصِيحَتَهُ ، وَسَافَرُوا
إِلَى الْمَدِينَةِ ، فِي جَمَاعَاتٍ صَغِيرَةٍ .
وَقَدْ رَحَّبَ بِهِمْ هُنَاكَ إِخْوَتُهُمْ فِي
الْإِسْلَامِ . وَشَكَرُوا لِلَّهِ أَنْ أَعْطَاهُمْ مَكَانًا
يَسْتَطِيعُونَ فِيهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَهُمْ آمِنُونَ
مُطْمَئِنُّونَ .

هِجْرَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ :

هَاجَرَ مُعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
وَلَمْ يَبْقَ فِي مَكَّةَ إِلَّا الرَّسُولُ الْعَظِيمُ ،
وَأَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ وَقَلِيلٌ آخَرُونَ . فَاعْتَازَ
كُفَّارُ قُرَيْشٍ ؛ لِهَاجَرَتِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ .
وَخَافُوا أَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ قُوَّةً فِي الْمَدِينَةِ ،
وَأَنَّهُمْ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ سَيَهْجُمُونَ عَلَى
مَكَّةَ . فَتَأَمَّرُوا عَلَى التَّخْلُصِ مِنْ
الرَّسُولِ ، وَذَكَرَ كُلُّ مِنْهُمْ رَأْيَهُ ، وَفِي
النِّهَايَةِ قَامَ أَبُو جَهْلٍ وَقَالَ : إِنَّ الشَّجَرَةَ

الْمَرِيضَةَ يَجِبُ أَنْ تُقَطَعَ مِنْ جُذُورِهَا .
وَإِنَّ الْحَلَ الْوَحِيدَ هُوَ أَنْ نَقْتُلَ مُحَمَّدًا .
إِنَّا الْآنَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقْتُلَهُ ؛ فَقَدْ مَاتَ
أَبُو طَالِبٍ الَّذِي كَانَ يُدَافِعُ عَنْهُ ، وَهَاجَرَ
أَتْبَاعُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ . فَمَنْ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَحْمِيَهُ ؟

ثُمَّ وَضَحَ أَبُو جَهْلٍ رَأْيَهُ فَقَالَ : وَلَكِنْ
إِعْلَمُوا أَنَّهُ إِذَا قُتِلَ شَخْصٌ مُعَيَّنٌ مُحَمَّدًا
فَإِنَّ أَسْرَتَهُ سَتَتَقِمُّ مِنَ الْقَاتِلِ وَأَسْرَتِهِ .
وَلِهَذَا أَنْصَحُ لَكُمْ بِأَنْ نَخْتَارَ شَخْصًا
قَوِيًّا مِنْ كُلِّ أُسْرَةٍ ، وَنُعْطِيَهُ سَيْفًا قَاطِعًا ؛

لِلْإِشْتِرَاكِ فِي تَنْفِيذِ هَذَا الْقَتْلِ . فَإِذَا ذَهَبُوا
إِلَيْهِ ضَرَبُوهُ بِسُيُوفِهِمْ ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ .
وَبِهَذَا نَقُتِلُهُ وَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ . وَحِينَئِذٍ
لَا تَسْتَطِيعُ أُسْرَةُ مُحَمَّدٍ أَنْ تُقَاتِلَ جَمِيعَ
الْقَبَائِلِ فِي مَكَّةَ . فَاسْتَحْسِنُوا رَأْيَهُ ،
وَاخْتَارُوا الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ يُحَاصِرُونَ
بَيْتَ مُحَمَّدٍ لِيَقْتُلُوهُ . وَحَدِّدُوا اللَّيْلَةَ الَّتِي
يَجْتَمِعُونَ فِيهَا لِقَتْلِهِ .

عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْمُؤَامَرَةِ عَلَى قَتْلِهِ ،
فَنَصَحَ لِصَدِيقِهِ وَحَبِيبِهِ أَبِي بَكْرٍ
بِالِاسْتِعْدَادِ لِلْهَجْرَةِ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ،

فَسَرَّ أَبُو بَكْرٍ كُلَّ السُّرُورِ ؛ لِيَكُونَا فِي
مَأْمَنِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ . وَقَدْ أَسْرَعَ
أَبُو بَكْرٍ فِي الْإِسْتِعْدَادِ لِهَذِهِ الرَّحْلَةِ .

وَلَمَّا جَاءَتِ اللَّيْلَةُ الْمُحَدَّدَةُ تَرَبَّصَ
الْمُجْرِمُونَ بِبَابِ الرَّسُولِ حَتَّى يَنَامَ
فَيَقْتُلُوهُ . وَجَاءَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ : لَا تَنَمْ
عَلَى فِرَاشِكَ (سَرِيرِكَ) هَذِهِ اللَّيْلَةَ . فَأَمَرَ
الرَّسُولُ عَلِيًّا فَنَامَ مَكَانَهُ ، وَتَغَطَّى بِغِطَائِهِ
الْأَخْضَرَ ؛ لِيُخْفِيَ الْأَمْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنَ
قُرَيْشٍ ، حَتَّى يَعْتَقِدُوا أَنَّ النَّائِمَ هُوَ
مُحَمَّدٌ .

فَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَوَّلَ مَنْ
خَاطَرَ بِحَيَاتِهِ لِكَيِّ يُنَجِّيَ الرَّسُولَ مِنَ
الْقَتْلِ .

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَدْ غَلَبَهُمُ النَّوْمُ
فَنَامُوا . وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ .

ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَوَجَدَهُ قَدْ جَهَّزَ
نَاقَتَيْنِ ، وَأَعَدَّ دَلِيلًا (مُرْشِدًا) لِيَدُلَّهُمَا
عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَحَدَّدَا لَهُ وَقْتًا
مُعَيَّنًا لِيُقَابِلَهُمَا فِيهِ بِغَارِ ثَوْرٍ ^(١) بَعْدَ ثَلَاثِ
لَيَالٍ .

(١) جَبَلٌ يَبْعُدُ مِائَتَيْنِ عَنْ مَكَّةَ ، وَعَلَى مَسَافَةِ سَاعَةٍ مِنْهَا .



الْكُفَّارُ يَدْخُلُونَ حُجْرَةَ النَّوْمِ فَيَجِدُونَ عَلَيْهَا نَائِمًا

وَفِي ظَلَامِ اللَّيْلِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ
وَأَبُو بَكْرٍ مِنْ بَابِ خَلْفِي صَغِيرٍ فِي بَيْتِ
أَبِي بَكْرٍ ، وَذَهَبَا إِلَى غَارِ ثَوْرٍ . وَحَمَلَ
أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ . وَقَدْ وَصَلَا إِلَى
الْغَارِ لَيْلاً ، فَدَخَلَهُ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الرَّسُولِ ؛
لِلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ سَبْعٌ أَوْ ثُعْبَانٌ ؛
مُحَافَظَةً عَلَى الرَّسُولِ . ثُمَّ قَالَ : انْزِلْ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَنَزَلَ .

فِي مُتَصَفِّ اللَّيْلِ :

مَرَّتِ السَّاعَاتُ فِي هُدُوءٍ تَامٍّ . وَفِي

مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ دَخَلَ الْمُجْرِمُونَ بَيْتَ
مُحَمَّدٍ ، وَسُيُوفُهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ . وَقَدْ
تَأَكَّدُوا جَمِيعًا أَنَّهُ لَا أَحَدَ الْآنَ يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَحْمِيَ مُحَمَّدًا أَوْ يُدَافِعَ عَنْهُ . وَأَرَادَ كُلُّ
مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلَ فِي الْهُجُومِ عَلَى
مُحَمَّدٍ . وَأَحَبُّ أَحَدُهُمْ أَنْ يَرَى كَيْفَ
تَكُونُ مُوَاجَهَةُ مُحَمَّدٍ لِلْمَوْتِ . فَشَدَّ الْغِطَاءَ
فَوَجَدَ عَلِيًّا فَوْقَ فِرَاشِ مُحَمَّدٍ . فَعَجِبَ
الْمُجْرِمُونَ وَتَأَلَّمُوا ، وَرَأَوْا أَنَّ قَتْلَ عَلِيٍّ
لَا يُفِيدُهُمْ شَيْئًا ، وَأَنَّ مَوْتَهُ لَنْ يَمْنَعَ انْتِشَارَ
الْإِسْلَامِ .

مَاذَا فَعَلَ الْكُفَّارُ بَعْدَ خُرُوجِ مُحَمَّدٍ مِنْ مَكَّةَ ؟
غَضِبَ الْكُفَّارُ ، وَقَرَّرُوا أَنْ يُعْطُوا الَّذِي
يَقْبِضُ عَلَى مُحَمَّدٍ — مَكَا فَاةٌ قَدَرُهَا مِائَةٌ
جَمَلٍ .

فَاسْرَعَ بَعْضُ الشُّبَّانِ حَامِلِينَ أَسْلِحَتَهُمْ
بَاحِثِينَ عَنْ مُحَمَّدٍ أَمْلَاءً فِي اللَّحَاقِ بِهِ ،
وَقَبِضِ الْمُكَافَاةِ .

اسْتَمَرَ الرَّسُولُ وَأَبُو بَكْرٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ
بِالْغَارِ . وَقَدْ أَلْهَمَ اللَّهُ حَمَامَتَيْنِ فَبَاضَتَا عَلَى
وَجْهِ الْغَارِ . وَاللَّهُمَّ عَنكُبُوتًا فَتَسَجَّتْ نَسِيجًا
عَلَى بَابِهِ . فَعِنْدَمَا وَصَلَ بَعْضُ الْمَشْرُكِينَ



الْكُفَّارُ أَمَامَ الْعَارِ وَقَدْ نَسَجَتِ الْعَنْكَبُوتُ عَلَى بَابِهِ

إِلَى الْغَارِ وَفَكَّرُوا فِي دُخُولِهِ تَرَاجَعُوا لَمَّا
رَأَوْا عُشَّ الْحَمَامِ ، وَنَسِيحَ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى
بَابِهِ . وَقَالُوا : لَوْ دَخَلَ مُحَمَّدٌ الْغَارَ لَكُسِرَ
الْبَيْضُ ، وَلْتَفْسَخَ الْعَنْكَبُوتُ ، وَسَمِعَهُمْ
وَرَأَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَالرَّسُولُ . وَقَالَ الرَّسُولُ :
يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا ؟
فَاشْتَدَّ حُزْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَالَ : إِنْ قُتِلْتُ أَنَا
فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ . وَإِنْ قُتِلْتَ أَنْتَ
هَلَكَتِ الْأُمَّةُ .

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ : (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

مَعَنَا) .